الفصل الثانى

العنـف الأســرى

- تعريف العنف الأسـرى
- خصائص العنف الأسرى
- النظريات المفسرة للعنف
- انتشار العنف الأسرى
- أشكال العنف الأسرى
- أسباب العنف الأســرى
- خصائص المعتدى و الضحية في العنف الأسرى
- انتقال العنف الأسري بين الأجيال
- أثر الثقافة فى العنف الأسرى
- أثر التعلم الاجتماعي فى العنف الأسرى
- التواؤم مع العنف الأسرى
- الوقاية من العنف الأسرى
- علاج العنف الأسرى
- تناول الإسلام للعنف الأسرى

مقدمة:

مما لا شك فيه أن العنف قديم قدم البشرية، فقد وجد منذ بداية التاريخ، ومنذ حدوث أول صراع بين البشر فى قصة ابنى آدم (قابيل وهابيل) مصداقًا لقوله تعالى ﴿ **واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانًا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين *لئن بسطت إلى يدك ما أنا بباسط يدى إلى لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين * إنى أريد أن تبوأ بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين *فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين *** ﴾ (المائدة: ٢٦-٢٩). وشهدت البشرية أحداثًا كثيرة تميزت بالعنف،ومما ساعد على انتشاره أننا نعيش فى عصر مشحون بالصراعات والاضطرابات والحروب الطاحنة، مما جعل الكثير من الشباب يتجهون للعنف، الذى تختلف دوافعه وطبيعته باختلاف طبيعة هؤلاء الشباب، الذين يمارسونه بأساليب مختلفة ومتعددة، وبأشكال متنوعة فى الدرجة والشدة، حيث أن العنف لا يورث، فهو سلوك مكتسب يتعلمه الفرد أو يعايشه خلال حياته (سامية جنينة، ٢٠٠٤م).

وتعتبر الأسرة الوحدة البنائية الأساسية فى المجتمعات بصفة عامة و المجتمع العربى والإسلامى بصفة خاصة، حيث تحظى الأسرة بدور ومكانة خاصة فى إطار منظومة متكاملة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، إذ أنها الجماعة التى تتكون من الزوج والزوجة والأطفال وجميعهم لهم أهداف مشتركة فى الحياة الاجتماعية. وتكمن قيمة الأسرة فى أنها البوتقة التى تنصهر فيها شخصية الفرد ويتحول من

شخص لديه مكتسبات بيولوجية إلى شخصية لها مكتسبات عديدة لها دور فى محيط الأسرة. غير أن هناك العديد من الأسر التى تحولت حياتها إلى ساحة من العنف الشديد الذى تمارسه أعضائها تجاه بعضهم البعض وتتراوح أشكاله ما بين السباب بالألفاظ النابية إلى القتل (أسماء محمود، ٢٠٠٦م).

والعنف من الظواهر التى تهدد كيان المجتمع بصفة عامة والأسرة بصفة خاصة. فقد أصبح انتشار العنف فى الأسرة بأشكاله ومستوياته المتنوعة لدرجة يقال معها أن الأسرة أصبحت من أكبر مؤسسات العنف فى المجتمع؛ ففى الوقت الراهن لا يمر يوم دون أن تطالعنا الصحافة بأخبار حوادث ضرب وانتقام داخل الأسرة الواحدة، علمًا بأن ما ينتشر فى وسائل الإعلام يغطى ١٠٪ من حوادث العنف الأسرى (رشا عبد الحميد، ٢٠٠٦م).

إن ظاهرة العنف الأسرى تمثل شكل من أشكال الصراعات النفسية والاجتماعية، هذا العنف يكون فى بعض الحالات موجهًا بدرجة رئيسية نحو المرأة وتتوالى عواقبه على الأطفال الذين يكونوا أكثر ضحاياه (معن قاسم، ٢٠٠١م).

وشكل تطور التكنولوجيا العلمية الحديثة بداية الاهتمام بإيذاء الأطفال؛ فمع استخدام الأشعة فى تصوير المرضى لاحظ المختصون كسورًا فى عظام الأطفال تبدو متعمدة من الوالدين، وكتب (هنرى كيمب وآخرون ـ Kemp et al) مقالة شرحوا فيها حالات من إيذاء الأطفال بعنوان " متلازمات الطفل المضروب ـ Battered child syndromes " وكان هذا المقال بمثابة تنبيه للعامة والمختصين لإعادة اكتشاف إيذاء الأطفال، وتزايد بالتدريج الاهتمام بدراسة إيذاء الأطفال والإساءة لهم، وتجاوز ضيق مفهوم متلازمات الطفل المضروب لتشمل أشكالًا أخرى من إساءة المعاملة بما فيها الإهمال ـ Neglect.(حنان طقش، ٢٠٠٢م)

ولم يعد العنف الأسرى مشكلة قاصرة على المرأة وحدها أو على بلـد معين أو ديانة معينة أو طبقة اقتصادية أو اجتماعية أو جماعة عنصرية، ولكنه مشكلة عامة. فحين يحدث العنف لا ينجو عضو من الأسرة عدة من آثاره بحيث يصبح الجميع

ضحايا له بصورة ودرجات مختلفة؛ فالعنف يعوق حركة الأسرة ويجعلها من الصعب عليها القيام بوظائفها.

ويخلق العنف فى الأسرة مناخ غير سوى يكون أحد العوامل المؤثرة على أفراد الأسرة ويؤدى إلى اضطراب شخصيتهم وسوء توافقهم الانفعالى وانعدام ثقتهم بأنفسهم وظهور اضطرابات سلوكية والقلق والاكتاب وخاصة لدى الأطفال (كاثرين كولر ـ Kolar، ٢٠٠٧م).

ولقد أصبح العنف الأسرى من أكثر مشكلات العصر تعقيدًا وذلك نظرًا لتعدد أطرافها وأنواعها بين العنف ضد الزوج والعنف ضد الزوجة والعنف ضد الأبناء والعنف ضد الأخوة والأخوات والعنف ضد الوالدين والعنف ضد الأقارب (أسماء محمود، ٢٠٠٦م).

لقد خضعت الأسرة فى المجتمع المصرى أثناء العقد الأخير لمجموعة من العوامل المتغيرة الاجتماعية والاقتصادية التى أثرت فى مختلف جوانب الحياة والتى لها تأثيرها على ارتكاب جرائم العنف الأسرى (منال عمرانى، ٢٠٠٤م).

تعريف العنف الأسرى:

التعريف **اللغوى** للعنف: العنف ضد الرفق، نقول منه: عنف عنفًا، وعنف به أيضًا، والعنف هو الشدة والقسوة، وعنف فلانًا أى كان معه شديدًا قاسيًا، ويشير العنف اللغوى إلى الأذى والشدة، وعنيف أى شديد وقاس وشديد الانفعال (محمد الرازى، ١٩٨٧م).

ويعرفه مصطفى حجازى (١٩٧٦م) بأنه " لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين حين يحس المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادى وحين ترسخ لديه القناعة بالفشل فى إقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمته ".

كما يعرفه أحمد بدوى (١٩٧٨م) بأنه " استخدام القوة بطريقة غير مشروعة أو غير مطابقة للقانون من شأنها التأثير على إرادة فرد ما ".

ويرى محمد خضر (١٩٩٦م) أن العنف هو " كل فعل ظاهر أو مستتر مباشر أو غير مباشر، مادى أو معنوى موجه لإلحاق الأذى بالذات أو بآخر أو جماعة أو ملكية أى واحد منهم ".

أما سعد المغربى (١٩٨٧م) فيرى أنه استجابة تتميز بصبغة انفعالية شديدة تنطوى على انخفاض مستوى البصيرة والتفكير وليس من اللازم أن يكون ملازمًا للشر أو للتدمير حيث يكون ضرورة فى موقف معين وظروف معينة للتعبير عن واقع معين يحتاج تغييرًا جذريًا عميقًا يقتضى استخدام العنف ".

ويعرفه جليل شكور (١٩٩٧م) بأنه " استخدام غير شرعى للقوة والتهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين ".

وترى سامية جنينة (٢٠٠٤م) أن العنف هو "الاستخدام المتعمد للقوة المادية أو السلطة بشكل فعلى أو تهديد ضد النفس أو ضد شخص آخر، أو مجموعة من أشخاص، أو ضد المجتمع والذى ينتج عنه إصابة أو موت أو ضرر نفسى أو اختلال فى النمو أو حرمان من حاجة معينة ".

وتعرفه باربرا ويتمر (٢٠٠٧م) بأنه تعد على الآخر أو إنكاره أو تجاهله ماديًا أو غير ذلك.

أما العنف الأسرى فتعرفه حنان طقش (٢٠٠٢م) أنه " استخدام غير مبرر للسلطة والقوة يهدف إلى إيذاء طرف ضعيف، ويظهر بين أفراد الأسرة الواحدة والمكونة من الوالدين وأولادها، وقد يكون عنفًا جسديًا أو معنويًا بين الوالدين، وقد يكون عنفًا جسديًا أو معنويًا موجهًا من الوالدين أو أحدهما ضد الأولاد ".

والعنف الأسرى يعد نمط من السلوك السيئ والمتضمن أوسع نطاق من سوء المعاملة الجسدية والجنسية المستخدمة من فرد ضد الآخر ذو العلاقة الحميمة به لينال أو يحصل على سلطة جائرة عليه من خلال سوء استخدام القوة أو ليبقى محتفظًا بذلك الشخص من خلال سوء المعاملة بالقوة والسيطرة والتسلط عليه (معن قاسم، ٢٠٠١م).

ومما سبق يمكن تعريف العنف الأسرى بأنه " إلحاق الأذى والضرر المادى أو المعنوى المباشر أو غير المباشر واستخدام القسوة والشدة والسيطرة والتسلط فيما بين أفراد الأسرة الواحدة سواء بين الزوجين أو بين الآباء والأبناء ".

خصائص العنف الأسرى:

يتسم العنف الأسرى بعدة **خصائص** منها:

- أنه سلوك اندفاعى.
- أنه محرم شرعًا وقانونًا ومن الناحية الاجتماعية أيضًا
- أنه يحدث فى البيئات المزدحمة التى يفقد فيها الفرد فرديته عندما يقرر القيام بالسلوك العنيف.
- إلحاق الأذى والضرر بالذات أو بالآخرين أو بالممتلكات.
- أنه يتضمن الإيذاء البدنى أو الهجوم اللفظى أو الخروج عن المعايير الاجتماعية.
- أنه يرتبط بعدم قدرة الفرد على التحكم فى انفعالاته.

كما أن أغلب البحوث التى تناولت أثر العنف الأسرى على الضحايا أجمعت على اشتراك ضحايا العنف فى عدة خصائص منها:

- تشتت مفهوم الذات، وانخفاض تقدير الذات والذى يؤدى إلى تحقير الذات والخجل، والشعور بعدم القيمة.
- سمات سلوكية مثل الإحباط، والميول الانتحارية، وضعف الثقة، وعدم القدرة على بناء علاقات حميمة فى الحياة اللاحقة.
- التشتت وعدم وضوح الأهداف.
- شكاوى نفسجسمية وأرق وقلق.

- ضعف القدرة على القيام بالواجبات.
- إدمان الكحول والمخدرات.

. (مارك كومينجز ـ Cummings، ١٩٩٨م)

النظريات المفسرة للعنف:

هناك العديد من **النظريات التى تفسر العنف** منها:

أولًا: النظرية البيولوجية:

يرى أصحاب النظرية البيولوجية أن العنف يرجع إلى **عوامل بيولوجية** فى تكوين الإنسان، ويفسرونه فى ضوء التكوين الجسمى، واضطرابات الجهاز العصبى، والكروموسومات ومستوى النشاط الكهربى فى المخ، وإفرازات الغدد الصماء؛ كما تشير هذه النظرية إلى وجود علاقة بين العنف وبين مراكز المخ، إذ تبين أن السلوك العنيف هو أحد السلوكيات التى تميز مرضى الصرع عن غيرهم، وهذا ما أكدته بعض الدراسات حيث أوضحت أن اضطراب وظيفة الدماغ كان سببًا فى العنف، وقد تم فحص عقول بعض المساجين المودعين فى السجون أو مستشفى الأمراض العقلية، وتبين أن أكثر من نصف هؤلاء يعانون من رسم مخ شاذ، وأمراض نفسية وعقلية، وهذا ما يؤيد الأساس البيولوجى للعنف.

(حابس العوالمة،١٩٨٧م ـ أحمد عكاشة، ١٩٨٩م)

ثانيًا: النظرية التحليلية:

يرجع هذا الاتجاه العنف الذى ينتشر فى المجتمع إلى **عوامل نفسية** وليس إلى وظائف بعض أعضاء الجسم كالمخ والغدد الصماء...إلخ. ويقوم الاتجاه النفسى على **عدة فرضيات** هى:

- أن العنف **مكتسب** من خلال عملية التنشئة الاجتماعية.
- أن العنف **ناتج عن عجز قوى الردع الداخلية** فى كبح جماح الغريزة العدوانية.
- أن **للصراعات والاضطرابات العقلية والانفعالية** دور مهم فى تفسير العنف.

ومن أبرز رواد المدرسة التحليلية (سيجموند فرويد ـ Fruid)، والذى **قسم الغرائز إلى قسمين**: غريزة الحياة والتى تأتى منها الغريزة الجنسية، وغرائز الموت ومنها العنف والعدوان.

شكل (٧) فرويد

ويرى فرويد أن دوافع الموت تعبر عن نفسها فى صورة دوافع عدوانية عنيفة موجهة نحو الذات ونحو الآخرين، ومقر دوافع الموت هو اللاشعور ويمثلها " الهو ـ ID ". ويرجع فرويد سلوك العنف إلى أحد **تفسيرين**:

الأول: **عجز "الأنا ـ Ego"** عن تحقيق التوافق والتوازن بين الميول الغريزية التى يولد بها الإنسان وبين المبادئ والقيم والأخلاق التى تسود المجتمع.

أما الثانى: **انعدام الضمير** لدى الفرد أو عجزه عن القيام بدور الرقيب على تصرفاته؛ فالمهمة الرئيسة للضمير أو "الأنا الأعلى ـ Super Ego "هى الرقابة والردع، وفى حال عجز الضمير عن القيام بوظيفته فإن الشهوات والرغبات تنطلق من عقالها إلى حيث تجد الوسيلة لإشباعها وقد يكون ذلك العنف والجريمة الوسيلة الوحيدة لذلك.

ويرى (أدلر ـ Adler) أن العنف والعدوان أكثر أهمية من الجنس، وأرجع جميع الغرائز إلى مفهوم الكفاح فى سبيل التفوق، ويرى أن الهدف النهائى للإنسان يمر بثلاث مراحل: أن يكون عدوانيًا، وأن يكون قويًا، وأن يكون متفوقًا.

أما (كارين هورنى ـ Horny) فترى أن العنف والعدوان ليس فطريًّا، وإنما هو وسيلة يحاول بها الإنسان حماية أمنه، وأن القلق يظهر عند الإنسان من خلال التفاعل بين مشاعر الكراهية الناتجة عن إهمال الوالدين للطفل، وبالتالى تظهر مشاعر الكراهية نتيجة لبعض الأساليب الوالدية الخاطئة فى التربية مثل التفرقة فى المعاملة والتدليل الزائد والقسوة الزائدة والإهمال والتذبذب فى المعاملة...إلخ (سبق ذكرها تفصيليًّا فى الفصل الأول)، وبناء على ذلك يسقط الطفل شعوره بالكراهية على العالم الخارجى، ومن ثم يكون العنف ضد الآخرين.

(سامية الساعاتى، ١٩٨٣م ـ عزة حجازى، ١٩٨٦م ـ السيد شتا، ١٩٨٧م ـ فيصل عباس، ١٩٩٠م ـ زياد مصالحة، ١٩٩٨م)

ثالثًا: النظرية السلوكية:

ويفسر العنف فى هذه النظرية **اتجاهين:**

الأول: نظرية الإحباط العدوانى (لدولارد وميلر ـ Dolard & Miller) والفرضية الأساسية لهذه النظرية هى أن الإحباط دائمًا ما يولد العنف، وأن هناك علاقة طردية بينهما، وأن العنف يسير فى **مراحل** تبعًا لهذه النظرية وهذه المراحل هى:

١. الشعور بالحرمان.

٢. التعبير عن الحرمان بالاحتجاج وظهور الإحباط لعدم إشباع الحاجات.

٣. البحث عن كبش فداء، بمعنى أن الفرد يلقى بإحباطه فرد آخر أو جماعة أخرى وينتقل إلى مرحلة الصراع.

٤. يؤدى العنف إلى مزيد من الكبت الذى يدعو إلى الإحباط مما يؤدى إلى ارتكاب المزيد من العنف وبذلك تنشأ سلسلة الصراعات المستمرة.

(محمد عسلية وإسماعيل الهالول، ٢٠٠٦م)

الثانى: نظرية التعلم الاجتماعى (لباندورا ـ Bandura): وتؤكد هذه النظرية على أن العنف **مكتسب من البيئة التى يعيش فيها الفرد**، أى أنه نشاط مكتسب ومتعلم من خلال الملاحظة والتعلم والمحاكاة؛ فالفرد يتعلم كثير من سلوكه من خلال تأثير القدوة أو النموذج الاجتماعى، ويستطيع تعلم الاستجابات الجديدة بملاحظة سلوك الآخرين الذين يكونون بمثابة نماذج له، واكتساب الاستجابات من خلال مثل هذه الملاحظة هو ما يسمى بالاقتداء بالنموذج.

والطفل الذى يتعرض لسوء المعاملة سواء داخل أسرته أو خارجها عادة ما يميل إلى استخدام العنف مع الآخرين وذلك لأن الأسرة تقدم له نموذج للعنف منذ الصغر.

(محمد الدسوقى،١٩٩٢م ـ زكريا الشربينى،١٩٩٤م)

ومن العرض السابق للنظريات نجد أنها قد تناولت العنف من جانب، ولكنها لم تقدم تفسيرًا كاملًا لسلوك العنف، مما يعنى أن هذه النظريات تكمل بعضها بعضًا. فالعنف فطرى فى أحد جوانبه ومكتسب فى جانب آخر، والطبيعة الإنسانية ليست شريرة فقط ولا خيرة فقط وإنما تجمع بين الخير والشر، وهذا ما أوضحه القرآن الكريم فى مواضع متعددة، يقول تعالى: "وهديناه النجدين " (البلد:٩). كما أوضح القرآن الكريم أن الإنسان مخير بين مسلكين هما الخير والشر، قال تعالى " **ونفس وما سواها *فألهمها فجورها وتقواها*قد أفلح من زكاها*وقد خاب من دساها***" (الشمس: ٦-١٠).

انتشار العنف الأسرى:

هناك رأى شائع أن العنف الأسرى أمر نادر، ويأتى هذا الرأى بسبب إمكانية إخفاء العنف الأسرى، وصعوبة قياسه؛ إلا أن هاتين الصعوبتين لا تنفيان حقيقة وجوده بكثرة، وهناك إجماع بين من تناولوا العنف الأسرى بأنه أكثر انتشارًا مما هو معروف بالفعل، وتشير (الهيئة القومية لمنع الإساءة للأطفال ـ National Committee to Prevent Child Abuse) بأن ٣١٤٠٠٠٠ طفل تعرضوا لنوع من أنواع الإساءة

الجسدية أو الجنسية، والإهمال والإيذاء النفسى، وتشير نتائج الإحصاءات أن العنف يظهر بين ١٦٪ من الأزواج، ويشاهد ما يزيد عن ٣ ملايين طفل تبادل العنف فى المنزل، ويسبب العنف الأسرى أضرارًا للنساء تزيد عن حوادث السيارات والاغتصاب مجتمعة فى أمريكا (جوزيف روتر وإرين هوستون ـ Rotter& Houston، ١٩٩٩م).

أشكال العنف الأسرى:

للعنف الأسرى أشكالًا متعددة ومتنوعة بعضها قديم مثل ضرب الزوجات، وإيذاء الأطفال وإهمال الأطفال وقتل الأقارب، وبعضها حديث نسبيًا مثل إيذاء الأطفال نفسيًا وجنسيًا، وضرب الأزواج، وإيذاء المسنين (آن كاتاناتش ـ Cattanach، ٢٠٠٠م).

وفيما يلى بعض أشكال العنف الأسرى وهى العنف بين الأزواج، والعنف ضد الأولاد.

أولاً: العنف الزواجى ـ Marital Violence:

هو عنف يحدث بين الأزواج، ويستخدم فيه التهديد من الطرف المؤذى لكسب السيطرة وتحقيق التفوق على الضحية، أو الطرف الآخر وهو فى الأغلب من الزوجات.

ومن أشكال العنف بين الزوجين:الإيذاء الجسدى، والعنف الجنسى، والإيذاء النفسى.

١. **الإيذاء الجسدى ـ Physical Abuse**: وهو أكثر أنواع العنف انتشارًا ويشمل سلوكيات متعددة مثل الضرب والركل والخنق والعض والدفع والاعتداء بالأدوات الحادة.

٢. **العنف الجنسى ـ Sexual Violence**: ويستخدم فيه الجنس كوسيلة يتم بها

تعذيب الضحية والسيطرة عليها وإيلامها وإذلالها، وهو يشبه إلى حد كبير ما يحدث أحيانًا من اعتداءات جنسية خارج الزواج.

٣. **الإيذاء النفسى / العاطفى ـ Psychological / Emotional Abuse**: ويعد هذا النوع من العنف الزواجى هو الأكثر إيلامًا والأكثر دوامًا، والإيذاء النفسى العاطفى ليس مجرد ألفاظًا نابية توجه للضحية، بل هو هدم منظم لمفهوم الذات عند الضحية، ويكون غالبًا مصاحبًا للإيذاء الجسدى والجنسى، ويحدث الإيذاء النفسى والعاطفى بإحدى الطرق التالية أو جميعها:

- **التهديد**: قد يهدد المسيئون بإبعاد الأطفال عن الشريك، أو التهديد بإيذاء الأطفال، أو يهددون بالانتحار وهذه التهديدات تزيد من خوف وقلق الضحية
- **الهيمنة الاقتصادية**: وذلك من خلال سيطرة الأزواج على الأمور المالية للمنزل، وقد يمنعون الضحية من العمل للاعتماد اقتصاديًّا عليهم بشكل دائم.
- **استخدام الأطفال**: يستخدم المسيئون الأطفال غالبًا كوسيلة للضغط على الشريك والسيطرة عليه، فقد يقسون على الأطفال كوسيلة لعقاب الشريك.
- **التخويف**: يخوف المسيئون ضحاياهم باستخدام الإيماءات، والنظرات، والأفعال، والأصوات العالية، وسحق الأشياء وتحطيم ممتلكات الضحية.
- **العزل**: يتحكم المسيئون عادة فيما تفعله الضحية، ومع من تتعامل، وأين تذهب، أى أنهم يعملون على عزل الضحية عن الآخرين حيث يشكل الآخرون تهديدًا لسلطتهم على الضحية.
- **التحكم المطلق**: بأن يتحكم المسيئون بنشاطات الشريك وحتى أماكن تواجده ومن يتعامل معهم.

(أودرى موليندر ـ Mullender، ١٩٩٦م)

وعلى الرغم من الفكرة الشائعة و المثبتة إلى حد بعيد بأن النساء هن فقط ضحايا العنف الزواجى، إلا أن بعض الإحصاءات الحديثة فى الآونة الأخيرة تشير إلى أن النساء يرتكبن العنف أحيانًا بحق الرجال، وإن كان من منطلق الدفاع عن النفس، وكرد فعل للخوف الذى يشعرون به ويعشنه فى ظل عنف الأزواج.

تأثير العنف بين الأزواج على النساء:

يؤدى العنف إلى عدد من التبعات السلبية للضحية؛ فالمرأة المعرضة للعنف قد تعانى من انخفاض تقدير الذات، والخوف المستمر، والشعور بنقص الكفاءة والضغط النفسى، وعلى الرغم من أن العنف لا يكون مستمر طوال الوقت، إلا أن الضحايا يعشن فى رعب مستمر من ظهور العنف مرة أخرى.

ويؤدى الشعور بالخوف والغضب والإحباط الذى يمر به ضحايا العنف والإساءة إلى الشعور بضعف الحيلة والعجز والاكتئاب ومزيد من الإحباط، وضعف القدرة على حل المشكلات، واضطراب الدافعية مثل السلبية.

كما يؤدى العجز المتعلم إلى ظهور استجابات انفعالية مثل القلق والغضب، والعدوان والإحباط وهذا بالإضافة إلى ظهور بعض الأمراض الجسمية مثل الصداع، وصعوبة التنفس، وبعض مشكلات الجهاز الهضمى.

(بونى كارلسون ولويس آن مكنوت ـ Carlson & McNutt، ١٩٩٨م)

ثانيًا: العنف ضد الأولاد ـ Violence Against Children:

تتعدد مظاهر الإساءة للأطفال وتتنوع، فهى تتمثل فى عدم إشباع الحاجات الأولية للطفل، أو عدم توفير فرصة حقيقية لتحقيق النمو السوى والآمن للطفل وهذا بالإضافة إلى فقدان الشعور بالحب والقبول، والشعور بالرفض والنبذ الذى ينشأ لدى الطفل نتيجة لأساليب التنشئة الاجتماعية الخاطئة التى يتبعها الوالدين مع أبنائهم، وتطورها إلى الحد الذى يسبب اضطرابات نفسية والتى ينتج عنها سوء التوافق الشخصى والاجتماعى (السيد رفاعى، ١٩٩٤م).

ويشمل **إيذاء الأولاد عدة أنواع** منها ما يلى:

١. **الإيذاء الجسدى ـ Physical Child Abuse**: ويشمل الضرب والركل والعض واللكم والحرق والقذف بآلات حادة والهز بعنف....إلخ، ومن **نتائج** الإيذاء الجسدى **الإصابات** التى قد تؤدى إلى الموت مثل إصابات الرأس التى تنتج عن الضرب بآلة حادة، أو بالقبضة، أو بدفع الطفل على سطح صلب؛ كما تنتج بعض **المشكلات المعرفية** حيث تتأثر قدراتهم العقلية وقدراتهم على التواصل ومهاراتهم فى الإدراك الحركى وتحصيلهم الأكاديمى، كما يعانون من بعض صعوبات التعلم وسوء التوافق، كما تظهر لديهم بعض **المشكلات السلوكية** مثل العدوان وإدمان الكحوليات والمخدرات؛ أما **الصعوبات الاجتماعية** فتظهر من خلال ضعف العلاقات والتفاعل الاجتماعى مع رفاقهم والراشدين، كما يعانون من مشاعر العجز والإحباط وانخفاض تقدير الذات.(أولًا بارنيت وآخرون ـ Barnett et al، ١٩٩٧م ـ بريندا فيرنز ـ Fearns، ٢٠٠٠م)

٢. **الإهمال والإيذاء النفسى ـ Neglect & Psychological Abuse**: قد يكون للإيذاء النفسى عدة أشكال؛ فقد يكون مباشر مثل التهديد بالإيذاء أو التهديد بإيذاء أفراد محبوبين، أو أشياء مفضلة، كما قد يكون بشكل غير مباشر مثل التشجيع على السرقة أو الغش أو الكذب، أو التشجيع على تناول الكحوليات أو المخدرات، ويشكل الإيذاء النفسى العنصر الأساسى فى جميع أشكال الإيذاء، كما أنه يظهر بصورة منفردة، ومن الصعب تحديد الإساءة النفسية، فيرى البعض أن الإساءة النفسية هى ما يقوله أو يفعله المسىء، والبعض الآخر يرى أنها نتيجة ما يقوله الجانى للطفل، وتشمل سوء المعاملة النفسية إرهاب الطفل، وإهانته والتربص به ـ Swearing، وتسمى سوء المعاملة أحيانًا بالعدوان اللفظى ـ Verbal Aggression، ويشمل سوء المعاملة النفسية الرفض والنبذ ـ Rejecting حيث يصبح

الطفل ضحية للرفض وموضوعًا للنقد طوال الوقت، والتحقير ـ Degrading ويشمل إهانة الطفل وإطلاق ألقاب سيئة ومختلفة عليه، وإرهاب الطفل ـ Terrorizing وهو تهديد الطفل مما يسبب له الشعور بالخوف الشديد والقلق المستمر، والعزل ـ Isolation وهو حرمان الطفل من المشاركة بالأنشطة الاجتماعية، وعدم السماح له بالتفاعل مع غير أفراد أسرته، وحرمانه من تكوين صداقات جديدة.

وقد يكون سوء المعاملة النفسية ـ Psychological Maltreatment هو أكثر أشكال الإساءة انتشارًا وتدميرًا، فالطفل الذى يقال له دائمًا بأنه غبى ولا قيمة له سيصدق ذلك وسيتصرف حسب هذه القناعة على الأغلب.

ويعرف الإهمال بأنه الفشل فى تقديم الحاجات الأساسية للطفل، سواء الحاجات الجسدية أو التعليمية أو العاطفية؛ فالإهمال الجسدى قد يكون بالحرمان من الغذاء أو العلاج، أو الطرد من المنزل أو عدم إلحاق الطفل بالمدرسة، والفشل فى القيام بالمهام الوالدية بشكل لائق يعرض الأطفال للإساءة والإهمال معًا، حيث أنه من النادر أن يظهر الإهمال والإيذاء النفسى بمفردهما، فهما على الأغلب يصاحبان بعضهما، ويرافقان أشكال الإيـذاء الأخرى.

وتنقسم **آثار سوء المعاملة النفسية** إلى آثار آنية، وآثار بعيدة المدى، فهى تضعف علاقة الطفل بالوالدين، وتؤدى إلى خلل فى التوافق الاجتماعى، وإلى قصور فى القدرات الأكاديمية والمعرفية، كما أنها تؤدى إلى تبنى سلوكيات عدوانية ومنحرفة، وتؤدى إلى مفهوم ذات سالب، وإلى إيذاء الذات، والغضب، والقلق، والإحباط.

(باتريشيا كريتيندن ـ Crittenden، ١٩٩٢م ـ جويل ميلنر وجوليل كروتش ـ Milner & Crouch، ١٩٩٣م ـ ستيوارت هارت وآخرون ـ Hart et al، ١٩٩٦م ـ ليندا أدى ريدر وآلـن جونز ـ Ade-Ridder & Jones، ١٩٩٦م)

٣. **مشاهدة عنف الأزواج ـ Exposure to Marital Violence**: ومن أشكال الإيذاء التى يتعرض لها الأطفال ضمن إطار العنف الأسرى مشاهدة تبادل العنف بين الوالدين، **ويعرف التعرض للعنف** بين الأزواج بأنه العيش فى

بيئة عنيفة وغير مستقرة، والتأثر بنماذج قاصرة وسلبية الأدوار، ويرى البعض أن مشاهدة العنف بين الأزواج شكل من أشكال الصدمات التى ترهب الطفل من خلال إجبارهم على مشاهدة شخص محبوب يهان جسديًا أو لفظيًا (آن اتاناش ـ Cattanach، ٢٠٠٠م). ويعانى هؤلاء الأطفال من الشعور بالعجز المؤلم، وقد يلومون أنفسهم لعدم قدرتهم عن منع أو وقف هذا العنف، ولمشاهدة العنف بين الوالدين **آثار** معرفية_ سلوكية، أو أعراض داخلية مثل الحزن والانسحاب، وأعراض سلوكية خارجية مثل العدوان والقسوة على من هم أضعف منهم، كما يعانى هؤلاء الأطفال من القلق والمزاجية وانخفاض تقدير الذات والخجل والإحباط، وقد تكون هناك بعض المحاولات للانتحار، وتزداد الأعـراض النفسجسمية (باميلا فالنتين وآخرون ـ Valentine et Al، ١٩٩٨م).

ويتأثر الأولاد بمشاهدتهم لتبادل العنف بين الوالدين كما يلى:

- يتأثر الأطفال من خلال **التعلم الاجتماعى**، فيتعلمون العدوانية من خلال مشاهدتهم ومراقبتهم للعنف بين والديهم، وتؤدى بهم هذه الملاحظة إلى محاولة تقليد السلوك المعروض، وتشجعهم على تقبل السلوك العدوانى كوسيلة للتفاعل؛ أى أن الأطفال يقلدون أنماط حل المشكلات المعروضة أمامهم، وقد يعجز مثل هؤلاء عن تعلم مهارات فعالة لحل الخلافات بدون عنف نتيجة افتقارهم لنماذج والدية ملائمة.
- يتأثر الطفل من **تشتت الأسرة**؛ فالأحداث السلبية المرتبطة عادة بالعنف: مثل الانتقال المتكرر والانقطاع عن المدرسة وانفصال الوالدين ـ تسهم بصورة غير مباشرة فى تكوين سلوكيات سلبية لدى الطفل
- يعانى الأطفال مما يسمى **اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة ـ Posttraumatic Stress Disorder**. فمن ردود أفعال الأطفال لضغط الصدمات، الأعراض الجسمية، والقلق، والخوف، والإنكار، والشعور بالذنب ، والاضطرابات السلوكية، والنكوص.

- يعانى الأطفال من **عدم الأمان الانفعالى** نتيجة الإضرار بالعلاقة بين الوالد والطفل بسبب ممارسة الوالدين للعنف، وهو ما يعرض الطفل إلى أخطار الاضطرابات السلوكية.

(أولا بارنيت وآخرون ـ Barnett et al، ١٩٩٧م)

٤. **إيذاء المراهقين**: الإيذاء فى المراهقة قد يكون استمرارًا للإيذاء فى الطفولة، وقد يبدأ الإيذاء فى المراهقة مصاحبًا للتغيرات التى تحدث فيها، وقد يكون السبب وراء ذلك عدم معرفة الوالدين بطرق المعاملة المناسبة للمراهقين، واستخدامهم لأساليب تنشئة الأطفال المتشددة والتى وإن قبلت فى الطفولة فهى ترفض فى المراهقة، كما يختلف شكل العنف فى المراهقة فيقل الإيذاء الجسدى ويزيد الإيذاء النفسى.

(مارك تشافين وآخرون ـ Chaffin et al، ١٩٩٦م)

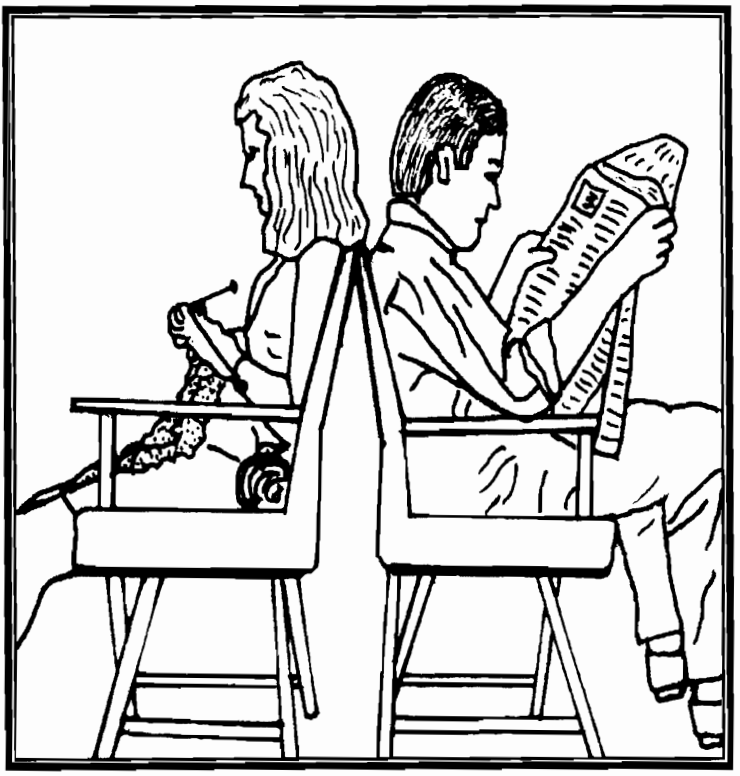

أسباب العنف الأسرى:

يقترن العنف بالأعمال التى تهدف إلى تدمير الذات أو الآخرين، وقد يكون العنف له أسباب ظاهرة وواضحة أو غير واضحة، والشكل التالى يوضح بعض الأسباب المؤدية للعنف.

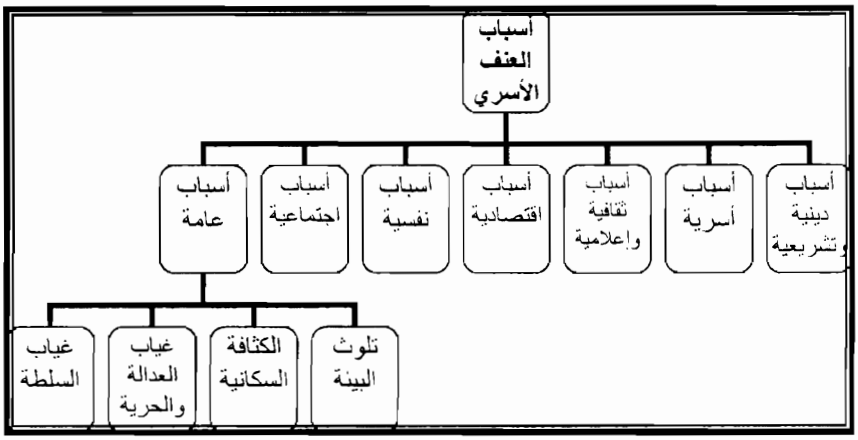

شكل(٨) أسباب العنف الأسرى

للعنف الأسرى أسبابه المؤدية إليه والتى يمكن ذكر بعضها فيما يلى:

أولاً :أسباب تتعلق بالجوانب الدينية والتشريعية :

لقد نظمت الشرائع السماوية التشريعات والقوانين لحماية الأفراد من الأذى، ومن هذه التشريعات والقوانين أن كل الأفعال والسلوكيات المؤذية التى يظلم بها الإنسان نفسه أو غيره تهدف إلى فساد المجتمع وهى محرمة شرعًا وقانونًا مثل قتل النفس، والسرقة، والزنا، والفساد، والقذف ، والبغى، ودليل ذلك قوله ﷻ فى قتل النفس: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣). كما قال ﷻ فى السرقة ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨). وقال سبحانه فى المفسدين فى الأرض: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣٣)، وقال ﷻ فى الزنا ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النور:٢) وقال تعالى فى الرمى بالفاحشة ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور:٤) وقال ﷻ فى البغى ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات:٩)، كما نهى الله سبحانه وتعالى عن ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٥٨). ويقول رسولنا الكريم ﷺ "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء "

(أبو بكر الجزائرى، ١٩٩١م)

وبرغم تأكيدات الدين على نبذ العنف والحث على الابتعاد عنه، وتأكيده على أهمية تنشئة الأبناء التنشئة الاجتماعية السليمة، إلا أن الملاحظ أن **ضعف الوازع الدينى والتخلى عن منهج الإسلام** والابتعاد عنه عند بعض الآباء يؤثر سلبًا على سلوك أبنائهم؛ فقد أصبح الكثير من الآباء يركزون اهتمامهم على الناحية المادية فقط وجمع أكبر قدر من المال اعتقادًا منهم أنهم بتحقيقهم مستوى اقتصادى مرتفع لأبنائهم يفون بكل احتياجاتهم متجاهلين تمامًا باقى الجوانب الضرورية للتربية كالجانب الدينى والجسمى والانفعالى والاجتماعى، بل أصبح تحقيق المادة يدفع الأفراد نحو استخدام كافة الوسائل حتى غير المشـــروعة لتحقيق هذا الهدف الذى يبتعد عن القيـم الدينية والضوابط القانونيـة (محمد الجندى،١٩٩٩م).

ثانيًا :أسباب تتعلق بالجوانب الأسرية :

تعد الأسرة ممثلة للثقافة بما تحتويه من قيم ومعتقدات وعادات واتجاهات اجتماعية، ومن خلالها تتحدد بدرجة كبيرة حالة السواء واللاسواء لنمو الطفل النفسى، ولا شك أن **الخبرات المريرة** التى يمر بها الطفل تولد لديه صراعات عديدة تدفعه إلى الانحراف والدخول فى دائرة العنف، كما أن **لأساليب التنشئة الاجتماعية**

الخاطئة والعقاب سواء البدنى أو المعنوى، وتفكك الأسرة نتيجة انفصال الوالدين أو الطلاق والشجار المستمر دور مهم فى ظهور العنف، ومن ثم، فإن الأبناء يتجهون إلى ممارسة العنف كوسيلة لحل مشاكلهم الناتجة عن الخبرات المؤلمة التى مروا بها خلال مرحلتى الطفولة والمراهقة، ومن تراكمات التفكك الأسرى والذى يبدو واضحًا فى سلوكهم خلال مرحلة المراهقة، ومما يؤكد ذلك أن مرتكبى الجرائم وغيرها من الانحرافات المختلفة يأتون معظمهم من بيوت متصدعة تتسم بالتفكك الأسرى.

وينتقل العنف الذى يبدأ من المنزل إلى الشارع، حيث أن عنف الأطفال يبدأ نتيجة الإحساس بالإهانة أو سوء معاملة الكبار لهم، أو ممن هم أشد قوة وتأثيرًا. وقد يفسر أحيانًا عنف الأطفال داخل الأسرة نتيجة للغيرة الناشئة لديهم بسبب التفرقة فى المعاملة بين الأبناء، أو بسبب ولادة طفل جديد فى الأسرة.

(أحمد سلامة وعبد السلام عبد الغفار، ١٩٧٠م ـ فؤاد البهى السيد،١٩٩٣م ـ محمد الجندى،١٩٩٩م ـ محمد عسلية وإسماعيل الهالول، ٢٠٠٦م)

ثالثًا :أسباب تتعلق بالجوانب الإعلامية و الثقافية :

من المعروف أن العنف سلوك مكتسب متعلم من البيئة، وتعد **وسائل الإعلام** من أهم المؤسسات الاجتماعية التى تلعب دور مهم فى عملية التنشئة الاجتماعية. ومن أكثر هذه الوسائل أهمية هو التليفزيون، خاصة أنه لم يعد هناك منزل يخلو منه، ومما زاد من أهميته وخطورته فى الوقت نفسه التطور الهائل فى وجود القنوات الفضائية، كما أنه وسيلة لا تحتاج إلى الإلمام بالقراءة بحيث يبدأ الطفل بالانتباه إليها منذ بداية إدراكه للصوت والصورة، بالإضافة لما له من جاذبية كوسيلة اتصال جماهيرى، لأن الصورة تترك أثرًا قويًا فى العين التى تلتقطها وهى أبلغ وأقوى من الكلمة المقروءة أو المسموعة، لأن المشاهد يكون فى حالة من القابلية للتأثر دون أن يكون بالضرورة فى حالة تحريض أو إثارة، ويعد التليفزيون من أفضل الوسائل الكاشفة للعمليات العنيفة فى شتى أنحاء العالم، كما أنه من أكبر النوافذ التى يطل

منها الفرد إلى عالم المعرفة وأسرار الكون، إلا أن المنحى التجارى الذى يطغى على معظم قنوات التليفزيون جعل منه بلية المجتمع وداء العصر؛ فالكثير من البرامج تشجع الطفل على العنف، وقد تظهر بعض المواد المعروضة فى التليفزيون فترفع من شأن المجرم وتظهر رجال الشرطة فى موقف العجز، وبذلك يفقد الفرد احترامه لرجل الأمن الذى يفترض أن يكون خط الدفاع الأول للمجتمع ضد الجريمة، أو تربط دائمًا بين البطولة والعنف وتقدمه للأطفال والمراهقين كنموذج يقتدى به (خليل شكور،١٩٩٧م). كما يؤدى العرض المستمر لمشاهد العنف سواء فى التليفزيون من خلال نشرات الأخبار أو الأفلام السينمائية أو حتى أفلام الرسوم المتحركة للأطفال إلى زيادة العنف لدى الأفراد داخل الأسرة، هذا بالإضافة إلى ما يعرض فى وسائل الإعلام الأخرى سواء المقروءة أو المسموعة.

كما أن انتشار **ثقافة العنف** فى بعض البيئات العربية بصفة عامة والمصرية بصفة خاصة أبلغ الأثر فى انتشار العنف داخل الأسرة، فنجد العديد من الآباء والأمهات **يؤمنون تمامًا بأن الشدة والعنف هما أفضل وسائل التربية** سواء مع الذكور- ليصبح رجل مسئول- أو مع الإناث، حتى أننا نجد الكثير من الأمثال الشعبية تحث على استخدام العنف كوسيلة جيدة للتربية منها: "إكسر للبنت ضلع يطلع لها أربعة وعشرين " و " اضرب ابنك واحسن أدبه ما يموت إلا لما يفرغ أجله " و اكسر للعيل ضلع يطلع له اثنين " (أحمد تيمور،٢٠٠٧م)

رابعًا: أسباب تتعلق بالجوانب الاقتصادية:

إن تدهور الحالة الاقتصادية للأسرة والفقر وما يترتب عليه من حرمان واحتياج وسعى للحصول على لقمة العيش ولو على حساب الآخرين، كل ذلك يؤدى إلى السلوك العنيف، كما أن **العجز المادى** يؤدى إلى سوء التوافق النفسى وتكوين مشاعر النقص مما يدفع الأفراد داخل الأسرة إلى طريق الانحراف ومن ثم ممارسة العنف (عبد المطلب القريطى،١٩٩٨م ـ محمد الجندى،١٩٩٩م).

ولاشك أن الجريمة والعنف والعدوان كلها وليدة لبعض الظروف الاقتصادية

وفى وقدمتها الفقر والحاجة وسوء الأحوال المادية؛ فالعلاقة بين سلوك العنف وانخفاض مستوى المعيشة داخل الأسرة واضحة لا يمكن إغفالها؛ فالفقر وشظف العيش يولدان الإحساس بالقهر والكراهية والسخط بكل ما يحيط بالفرد فتكثر الهموم وتضعف الروابط الأسرية؛ الملتحمة، ويصبح الرجال أغراب عن زوجاتهم، وتتكسر الصورة المشرقة للحياة الأسرية؛ فالزوجة التى يؤمل أن تكون شريكة حياته تقاسمه أفراحه وأتراحه، فإنها بدلًا من ذلك تضيق به، وتصبح علاقة الأب بأبنائه فاترة، أو قد تكون معدومة نتيجة عدم تواجد الأب وغيابه عن المنزل فترات طويلة سعيًا وراء الرزق، فالكل يضيق بالكل، ويبدأ كل فرد فى الأسرة ينعزل فى عالمه وأحلامه الخاصة مما قد يؤدى بالشباب المندفع بطبعه إلى إشباع حاجاته بطرق غير مشروعة ويسلك سلوك العنف دون حساب للنتائج (محمد عسلية وإسماعيل الهالول، ٢٠٠٦م).

خامسًا :أسباب تتعلق بالجوانب النفسية :

لاشك أن **شعور الأبناء بالتعاسة والإحباط** يؤدى إلى عدوانية وعنف الأبناء، كما أن **فقدان الشعور بالأمن** والوعى بالإحباط يعنى بالنسبة للفرد الخطر والتهديد لإشباع حاجاته الأساسية، ومن ثم إذا تعذرت وسائل التعبير عن هذا الخطر وتغييره بالوسائل المشروعة، استثيرت فى نفسه النزعة العدوانية فيلجأ إلى العنف بصوره المختلفة متجهًا نحو تحطيم مصادر الإحباط ورموزه، كما يولد الشعور بالنقص عن الآخرين العنف الذى ينطلق من مشاعر الغيرة، بالإضافة إلى مشاعر الغضب الذى يوجه الفرد إلى العنف والإتلاف لبعض ما يحيط به، بل قد يعاقب الفرد نفسه وقد يوجه العنف نحو ذاته، وقد تدفع الصراعات التى يعانى منها الفرد – خاصة المراهق– عند محاولة التوافق مع دوافعه التى تتطور ونقص الإمكانات أو عدم النضج الانفعالى ونقص التوازن الانفعالى إلى العنف، وأول ما يوجه هذا العنف إلى الأسرة.

(حامد زهران، ١٩٩٧م ـ عون محيسن، ١٩٩٩م ـ محمود حمودة، ١٩٩٣م)

سادسًا :أسباب تتعلق بالجوانب الاجتماعية :

لاشك أن **للظروف الاجتماعية الضاغطة** دور مهم فى ظهور سلوك العنف لدى أفراد الأسرة، فزيادة الضغوط تؤدى إلى عالم منغلق لا يعرف فيه الناس بعضهم بعضًا حتى لو كانوا يتواجدون فى محيط جغرافى واحد.

ويعد **لافتقار الفرد لمهارات العلاقات الاجتماعية** أهمية خاصة فى هذا المجال. فالفرد الذى يلعب مع إخوانه ورفاقه يتعلم كيف يعمل على موافقة ميوله العنيفة مع مطالب الجماعة، أما الذى يعيش بمفرده فإنه يفصح عن ميوله العنيفة بطريقة فجة، كما أن للتهديد وتحقير الذات وفقدان الاعتبار والحرمان وإهدار القيم الإنسانية دور مهم فى ظهور السلوك العنيف وزيادته (عون محيسن،١٩٩٩م).

سابعًا :أسباب عامة :

هناك أسباب عامة يمكن أن يكون لها تأثير كبير فى ظهور العنف منها ما يلى:

١. **تلوث البيئة**: فقد كشفت إحدى تقارير منظمة الصحة العالمية (١٩٩٤م) أن التلوث البيئى يعد من العوامل المسئولة عن زيادة حالات العنف فى الدول النامية، وأشارت التقارير أن من بين الأمراض الخطيرة التى تنتج عن انتشار التلوث هى الاكتئاب وإدمان الأدوية وانتشار حالات الانتحار وحالات الانحراف والعنف وسوء معاملة الأطفال، كما يربط التقرير بين السلوك العنيف داخل الأسرة وبين عوامل التلوث البيئى كتلوث المياه والتصميم الهندسى الردئ للمنزل وعدم توافر الظروف البيئية والمسكن الجيد الصحى المناسب (مصطفى عتيق وعبد المنعم أحمد،١٩٩٤م)

٢. **الكثافة السكانية**: تعد الكثافة السكانية المرتفعة أحد العوامل التى ترتبط بالعنف ومظاهر القلق والتوتر، كما ترتبط بالانسحاب الاجتماعى وتسبب شعور بعدم الراحة وتقليل حب الناس لبعضهم البعض وتقلل من التفاعل بينهم، وتصبح فرصة الاحتكاك والصدام أكبر مما يزيد من ظهور سلوك العنف بينهم.

٣. **غياب العدالة والحرية**: إن غياب العدالة فى توزيع الدخل والمكاسب وفقدان القيم الحقيقية للعمل ومساواة من يعمل بمن لا يعمل، والظلم فى توزيع المكانة والأدوار يؤدى إلى استثارة العنف بأشكاله المختلفة كالسلبية واللامبالاة والتخريب والجريمة...إلخ. كما أن غياب الحرية فى التعبير عن حاجات الإنسان سواء داخل الأسرة بشكل خاص، أو فى المؤسسات الاجتماعية الأخرى بوجه عام، يعد تهديدًا خطيرًا لإنسانية الإنسان (عون المحيسن،١٩٩٩م).

٤. **غياب السلطة أو اضطرابها داخل الأسرة**: إن الأسرة التى تخلو من سلطة ضابطة فى العقاب جنبًا إلى جنب مع الثواب بطريقة إنسانية عادلة،إنما تحرض أفرادها وتستفزهم للعنف حيث يلجئون بأنفسهم إلى ممارسة السلطة وتوقيع العقاب ولكن بطريقة انتقامية، وهذا يدفع إلى مزيد من العنف المضاد.

خصائص المعتدى والضحية فى العنف الأسرى:

تشير بعض الدراسات إلى أن هناك بعض الخصائص المميزة لكل من المعتدى والضحية فى العنف الأسرى؛ **فالشخص العنيف** فى أسرته قد يكون مضطربًا انفعاليًّا، أو منخفض الذكاء ويعانى من ضعف القدرة على السيطرة على انفعالاته، أو يكون من مدمنى الكحول أو المخدرات.

ويذكر عماد مخيمر وعماد عبد الرازق (١٩٩٩م) بعض خصائص الوالدين الذين يؤذيان أطفالهما مثل: ضعف البناء النفسى، وعدم النضج الانفعالى والاجتماعى، وانخفاض تقدير الذات، والشعور بعدم الكفاءة الشخصية، والجهل بحاجات الطفولة، والفقر، والبطالة، وانخفاض مستوى التعليم.

كما أن هؤلاء الآباء لا يقدمون لأبنائهم بيئة انفعالية مواتية لدفع النمو، ويبالغون فيما يتوقعونه من أولادهم ويفتقدون المرونة فى تعاملهم معهم.

أما **الطفل الضحية**، فيتميز ببعض الخصائص منها: كثرة الصياح، والإلحاح، والاعتمادية الشديدة على الولدين، وانخفاض تقدير الذات، وصعوبات فى التحصيل، وزيادة القلق، والعدوان، ونقص الشعور بالكفاية، والعناد والتمرد، والانسحابية (حنان طقش، ٢٠٠٢م).

وضحايا العنف الأسرى عادة ما يكونون الفئة الضعيفة بين أفراد الأسرة، وغالبًا ما تحتاج لرعاية خاصة، ومن أبرز هذه الفئات:

- **الأطفال**: وهم من أبرز الفئات تعرضًا للعنف لأنهم الأكثر ضعفًا، كما أنهم من أكثر الفئات حاجة للرعاية والاعتناء.

- **النساء**: نظرًا لطبيعة المرأة الضعيفة، ولرغبتها المستمرة فى التضحية حفاظًا على كيان الأسرة، نجدها تقبل بالتنازل عن حقوقها وترتضى أن تكون ضحية للعنف الأسرى حفاظًا على الأبناء من الضياع.

- **المعاقين**: إن القدرات الكامنة والطاقات المتوهجة فى هذه الفئة تتعطل كثيرًا بظلمهم وتهميشهم وتحقيرهم وعزلهم عن المجتمع الخارجى لخجل أسرهم منهم، وهم يعانون نتيجة العنف الأسرى المعنوى الممارس ضدهم، وهذه الفئة قد تعانى من مصدرين للعنف؛ العنف الأسرى، والعنف المؤسسى بين طاقم المؤسسة التى من المفترض أن ترعاهم.

- **المسنين**: وهم من أكثر الفئات حاجة إلى الرعاية والاهتمام لضعفهم الجسدى والذهنى، ولعلهم الأجدر بهذا الاهتمام لأنهم أدوا ما عليهم من واجبات تجاه أسرهم ويرون أنه من حقهم المطالبة بالعناية والاهتمام كنوع من رد الجميل. ولكن أحيانًا نجد أنهم يعانون من عدم الاهتمام من المجتمع عامة ومن أسرهم خاصة، كما أنهم قد يعانون من التهميش وفى بعض الأحيان من بعض الاعتداءات الجسدية، وهذه الفئة أيضًا تقع تحت طائلة نوعين من العنف؛ العنف الأسرى والعنف المؤسسى من بعض مؤسسات رعاية المسنين.

انتقال العنف الأسرى بين الأجيال:

وهو ما يسمى بدائرة العنف؛ فمعظم الأطفال الذين يتعرضون للعنف أو يشاهدونه فى طفولتهم يتحولون إلى آباء وأزواج على درجة عالية من العنف، ويؤكد هذا الاتجاه على قوة تأثير الأسرة، ويوجه اللوم على ظهور العنف فى الأسرة، وهذا غير صحيح إلى حد ما، إذ أن اختيار الفرد لأسلوب تعامل دون غيره أمر يتأثر بالعديد من المتغيرات مثل الفقر وظروف السكن وسوء الظروف المعيشية، وهناك بعض الباحثين يرون أن الطفل الذى يتعرض للعنف فى طفولته يميل إلى تجنبه فيما بعد.

أثر الثقافة فى العنف الأسرى:

هناك بعض الثقافات التى تتقبل العنف وتجد ما يبرره، وتقبل الثقافة للعنف عمومًا يسمح بالعنف الأسرى؛ فالقبول الاجتماعى للعقاب الجسدى ينسجم مع القيم التى ترى أن من حق الوالدين وواجبهما ضبط وتدريب أطفالهما ولو بالقوة، ففى مثل هذه الثقافة يكون العنف ضد الأطفال أمرًا طبيعيًّا، وتؤثر الثقافة على العنف من خلال ما يعرف بالنظام الأبوى، وهو نوع من التنظيم الاجتماعى يعطى للرجل قوة ومميزات وحقوق أكثر من المرأة، وفى تطرف هذا التنظيم نجد أن الرجل يُعطى سلطة مطلقة على المرأة والأطفال، وتشجع المرأة على تحمل العنف كجزء من تأدية الدور كأم وزوجة فى سبيل الحفاظ على الأسرة.

والسلوك المنحرف ينتشر عندما لا يترتب عليه تبعات قانونية أو اجتماعية، أو عندما تكون التبعات المترتبة عليه ضعيفة، ويوازن الإنسان منطقيًّا بين مميزات وتبعات السلوك، وعلى هذا فإن السبب فى انتشار العنف الأسرى قد يرجع إلى انخفاض التبعة المترتبة عليه، فالتبعات القانونية المترتبة على العنف الأسرى قليلة وهامشية لذلك فهى غير رادعة (حنان طقش، ٢٠٠٢م).

أثر التعلم الاجتماعى فى العنف الأسرى:

يتعلم الأطفال نماذج وأساليب العنف من خلال مشاهدتهم للعنف، أو من خلال التعرض له، حيث يتبنون تنظيمات معرفية واتجاهات نفسية مؤيدة ومتقبلة

للعنف، ويستمر الراشدون فى علاقات عنيفة نتيجة لتعزيز العقاب القاسى فى طفولتهم، حيث يتعلم المعتدى من خلال التعلم الشرطى أن باستخدامه للعنف يحصل على ما يريد من الآخرين سواء الشريك أو الأشقاء، وفى المقابل تتعلم الضحية من خلال التعلم الشرطى أن تخضع للعنف بعجز كوسيلة لتجنب العقاب والمزيد من العنف. وتشير بعض الدراسات إلى أن هذا التعلم من أهم الأسباب التى تبقى النساء مع أزواج عنيفين، لأنها تعلمت منذ الطفولة أن تتجنب العقاب بالسلبية.

وتلعب النمذجة ـ Modeling أيضًا دورًا مهمًا فى تعلم العنف، وذلك حين يتعلم الفرد اتجاهات معرفية واجتماعية وسلوكية من خلال مراقبته وتقليده للآخرين، ويكون التعلم لدى المراقب أقوى لأنه يرى التعزيز الذى يحصل عليه المعتدى، ويطبق المراقب ما شاهد وتعلم، وهكذا يتعلم أبناء الأسر العنيفة استخدام العنف كاستجابة مقبولة ذات صفة شرعية. (حنان طقش،٢٠٠٢)

التواؤم مع العنف الأسرى:

قد يبدو للقارئ أن هذا العنوان غريب ومتناقض، إذ أنه كيف يتواءم الإنسان مع العنف؟ وتتمثل الإجابة على هذا التساؤل فى أن أطفال الأسر العنيفة قد لا يجدون بدائل أمامهم لتغيير البيئة، فهم مضطرون للعيش مع الوالدين مهما كان عنفهم مع أبنائهم؛ الوضع نفسه بالنسبة للزوجات المعنفات اللاتى يتعرضن للعنف بأساليبه المختلفة على الرغم من أن لديهن قدرة أكبر من الأطفال على مغادرة جو العنف والابتعاد عن الشخص المسىء، ويرجع ذلك إلى أنهن قد تعلمن القيام بتسويات عديدة لعلاقاتهن المؤذية، فأحد المتطلبات الأساسية للعيش مع المعتدى هو إيجاد أسلوب لجعل عنفه مقبولًا، وهذا الهدف يتم تحقيقه باستخدام ما يعرف **بحيل الدفاع النفسية** مثل الإنكار والتبرير ـ Denial & Rationalization فينكر الجانى إيذاء المعتدى ويبحث عن مبرر لسلوكه، وقد تلجأ الضحية أحيانًا إلى ما هو أسوأ من ذلك وهو لوم الذات، فتعتقد أنها هى السبب فى هذا العنف ويجب عليها أن

تعدل وتغير هى من سلوكها، وهكذا تتواءم المرأة الضحية مع العنف ببطء وبشكل تدريجى مما يجعل من العنف أسلوب حياة عادى بالنسبة لها تعتاد عليه وتألفه.

(أودرى موليندر ـ Mullender، ١٩٩٦م)

الوقاية من العنف الأسرى:

من الممكن التنبؤ بالسلوك العنيف، واتخاذ الإجراءات اللازمة وقائيًا و تدخليًا وعلاجيًا.

ويشير جيمس كوفمان ـ Kauffman (١٩٩٤م) إلى خطورة سلوك العنف، خاصة لدى الشباب، وضرورة تعليمهم السلوك السوى مقابل العنف، ويؤكد على ضرورة تعليمهم الاستجابات غير العنيفة للمشكلات، والتحكم فى السلوك العنيف وعدم حمل أو استخدام أو اقتناء أدوات العنف.

وتصف أن بارى ـ Parry (١٩٩٣م) برنامجًا للوقاية من العنف بعنوان **"اختيار اللاعنف"**، حيث يتعلم الأولاد والمعلمون والآباء تطبيق ثلاثة مفاهيم هى:

١. فهم وتعرف العنف.

٢. قوة الاختيار الشخصى وضبط النفس.

٣. قوة اللغة كبديل للعنف.

وتجدر الإشارة إلى أهمية **برامج الوقاية الأولية لمنع العنف** وتنمية السلوك الاجتماعى السوى منذ الطفولة، بحيث يتم التركيز على تعلم الأدوار الاجتماعية، والتعاطف الاجتماعى، وحل مشكلات التفاعل الاجتماعى، وإدارة الغضب.
(كارين فرى وآخرون ـ Frey et al، ٢٠٠٠م)

وتتمثل أهم **إجراءات الوقاية من السلوك العنيف** فيما يلى:

- **التنشئة الاجتماعية السليمة**: فى كل من الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام وجماعة الرفاق ودور العبادة ومجال العمل.

- **تجنب أساليب التنشئة الخاطئة**: مثل التدليل والتساهل والتسلط والإهمال والرفض، وكلها تنتج أطفالًا يتسم سلوكهم بالعنف والتمرد.
- **توافق الوالدين**: وتجنب الصراع والنزاع والعنف بينهما.
- **الكشف المبكر لسلوك العنف**: وتحسّب احتمال نمو السلوك العنيف لدى الفرد.
- **تنمية المسئولية الاجتماعية**: حيث يدرك الفرد أهمية السلوك المسالم فى نجاح التفاعل الاجتماعى، تحقيقًا لأهداف الفرد والجماعة والمجتمع.
- **تنمية السلوك الاجتماعى السوى**: ويتضمن ذلك مسايرة المعايير الاجتماعية والقيم الاجتماعية المنظمة للسلوك السوى البعيد عن العنف، والالتزام به.
- **تنمية الانتماء**: ويشمل التقبل و التعاون والارتباط والمسئولية والالتزام والتقدير والتفضيل والود والصداقة والحب مع الجماعة والولاء للمجتمع والوطن.
- **تقليل التعرض لنماذج العنف**: وخاصة فى الأسرة والعمل ووسائل الإعلام والجماعات المختلفة التى ينضم لها الفرد.
- **تيسير مصارف العنف**: لتصريف التوتر والغضب باستخدام بعض الألعاب الرياضية مثل المصارعة والملاكمة والكاراتيه والجودو والهوايات مثل الرسم والموسيقى.
- **تغيير البيئة**: ومجال التفاعل الاجتماعى مما يقلل من إمكانية حدوث العنف، ومثل تفاعل الفرد مع من هم أكبر منه، وتيسير التفاعل الاجتماعى خارج المنزل، وضبط وإصلاح ظروف الحياة اليومية، التى تستثير العدوان.
- **إشراف الكبار على سلوك الصغار**: من أجل منع السلوك العنيف، وذلك من خلال تعليم مهارات حل الصراع، وتنمية علاقات إنسانية أفضل بين أفراد الأسرة، وإتاحة الفرصة للتعبير السوى عن أنفسهم.

(جون ريتش ـ Rich، ١٩٩٢م ـ دوريس بيرجن Bergen، ١٩٩٤م ـ لورين والاش Wallach، ١٩٩٦م ـ إجلال سرى، ٢٠٠٣م)

علاج العنف الأسرى:

حين يوجد العنف يجب **التدخل لخفض السلوك العنيف**، وذلك باستخدام إستراتيجيات وطرق علاجية فعالة، تشمل كافة الجوانب النفسية والتربوية والاجتماعية.

ومن الضرورى التركيز على دراسة **" ثنائى المعتدى - الضحية "** **Aggressor-Victim Dyad** كثنائى يتفاعل تفاعلًا يتضمن الطرفين، والموقف الاجتماعى، والظروف المادية (أكاند ـ Akande، ٢٠٠١م).

وتتضمن أهم **إجراءات علاج العنف** ما يلى:

أولًا: إجراءات علاجية عامة: مثل:

- **تحديد أسباب العنف وتجنبها**: والقضاء عليها جميعًا قدر الإمكان سواء الأسباب النفسية أو الاجتماعية أو الحيوية.
- **العلاج النفسى**: وذلك عن طريق العلاج النفسى الفردى والجماعى باستخدام برامج علاجية مخططة تجمع بين العلاج المعرفى السلوكى بهدف خفض العنف معرفيًّا وسلوكيًّا. ويفيد العلاج السلوكى ـ وبصفة خاصة الاشتراط التجنبى ـ بما يؤدى إلى تجنب السلوك العنيف، وتعزيز الموجب للسلوك المسالم، ويستخدم أيضًا أسلوب النماذج المسجلة على شرائط الفيديو، ولعب الأدوار، مع التعلم الذاتى، وأسلوب حل المشكلات، ويركز على التدريب على التفكير أولًا قبل الانفعال وقبل سلوك العنف، كما يفيد أيضًا أسلوب تدريب الإغفال أو الإطفاء حيث يترك السلوك العنيف ويُهمل إلى أن ينطفئ.
- **الإرشاد النفسى**: خاصة الإرشاد الجماعى فى مراكز الإرشاد النفسى،

وذلك باستخدام أساليب متعددة مثل: التمثيل النفسى المسرحى (السيكودراما ـ Psychodrama)، والتمثيل الاجتماعى المسرحى (السوسيودراما ـ Sociodrama) فى نواد إرشادية وعن طريق الرحلات والمعسكرات العلاجية، وباستخدام المحاضرات والمناقشة الجماعية، وترشيد وقت الفراغ.

- **الرعاية الاجتماعية**: ومن الأفضل أن تتم على أيدى متخصصين فى دور الرعاية الاجتماعية التى تعمل فى ضوء نظرية الدفاع الاجتماعى، على أساس أن الشخص المعتدى شخص مخطئ ومسئول عن خطاه، وفى الوقت نفسه فإن المجتمع مسئول مسئولية مضاعفة عن ظهور هذا السلوك العنيف، ومن ثم عليه إصلاح وتعديل السلوك العنيف وإعادة تأهيل حالات العنف.

(جيمس لارسون ـ Larson، ١٩٩٢م ـ ميرا ميدلتون و جوندولين كارتليدج ـ Middleton & Cartledge، ١٩٩٥م ـ ستيفانى واشينجتون وجينيفير كاتز ـ Washington & Katz، ٢٠٠٢م)

ثانيًا: إجراءات علاجية خاصة: توجد فنيات تستخدم مع العنف، منها ما هو للأطفال، ومنها ما هو للراشدين، ومنها ما هو نفسى، ومنها ما هو اجتماعى مثل:

١) **الفنيات النفسية**: ومن أهمها ما يلى:

- **إثابة السلوك المرغوب**: كلما قام الطفل بالسلوك المرغوب (غير العنيف) يعزز هذا السلوك سواء بالمدح أو الإثابة المادية ، ويمكن استخدام لوحة النجوم باليوم والساعة مسجل فيها السلوك المرغوب بنجمة والسلوك العنيف بعلامة أخرى مثل " X "، ويثاب الطفل كلما زادت النجوم.
- **الإغفال والتجاهل المخطط للسلوك العنيف**: الذى لا يشكل خطرًا حقيقيًّا للسلامة الجسمية للآخرين، ويفيد تجاهل السلوك العنيف، حيث لا يتم تعزيزه بالانتباه إليه، مع ضرورة إظهار التعاطف مع الضحية.

- **الكلام مع النفس**: وتتضمن هذه الفنية تعليم الفرد العنيف العديد من الجمل التى تساعد على كف العنف، ويمكن أن يقولها الفرد بهدوء لنفسه عندما يستشعر العنف تجاه الآخرين مثل: " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم "، "تكلم ولا تضرب "، " توقف وفكر قبل أن تفعل " ويكرر الفرد هذه الجمل مرات ومرات حتى تصبح دليلًا آليًا للسلوك.
- **استخدام العقاب (غير الجسمى)**: ومن العقاب غير الجسمى: الطرد خارج المكان الموجود به الجماعة، والتوقف عن ممارسة نشاط الجماعة، والاعتذار للضحية، ويجب هنا الحرص من " العنف بالعنف " أى تجنب حدوث حلقة مفرغة من العنف.
- **تعديل الدفاعات النفسية**: حيث لا يسمح للفرد تبرير العنف بالأعذار مثل "كل الناس يمارسون العنف "، "هم الذين يبدؤون". ويفيد هنا استخدام دفاعات مثل التسامى أو الإعلاء.

٢) **الفنيات الاجتماعية**: ومن أهمها ما يلى:

- **تعليم المهارات الاجتماعية**: من المهارات الاجتماعية المفيدة هنا: **التوكيدية** وهى التعبير عن المشاعر والتمسك بالحقوق بطريقة معقولة وبدون عنف، وبذلك تؤدى إلى غضب أقل وتواؤم أكبر الاستجابات العنيفة، والتوكيدية لا تعنى الاستسلام والتنازل عن الحقوق، ولكنها وسط بين العنف والإذعان.

ومن المهارات الاجتماعية المفيدة أيضًا فى علاج العنف: **المناقشة والتفاوض** واللجوء إلى الحلول البديلة مثل الحل الوسط، أو جعل الآخرين يتدخلون.

- **تنمية الحكم الاجتماعى**: ويتضمن ذلك تنمية التفكير قبل الفعل، بحيث يكون شعار السلوك " العقل قبل الفعل ". ويتطلب هذا تقدير عواقب السلوك العنيف مثل فقدان الصداقة، وغضب الآخرين، واستياء المحيطين بالفرد، ومن العناصر المهمة فى تنمية الحكم الاجتماعى: احترام حقوق الآخرين فى إطار المعايير الدينية والخلقية.

- **اتباع نظام حازم**: حيث لا تسامح أو تساهل مع السلوك العنيف، والحزم يعنى جعل الأمر واضحًا تمامًا أن السلوك العنيف مرفوض تمامًا وغير مقبول فى أى موقف مهما كان.
- **تبنى الإيثار**: وتنميته لدى أفراد الأسرة مما يزيد الحب للآخرين والتعاطف والتعاون معهم، وبالتالى يقلل العنف الموجه إليهم أو يقضى عليه.
- **العفو عند المقدرة**: ويعد من الأساليب الفعالة التى حثنا ديننا الحنيف على التمسك بها ابتغاء مرضاة الله، كما أنها من الفنيات التى تساعد على وقف دائرة العنف المغلقة. (إجلال سرى، ٢٠٠٣م)

تناول الإسلام للعنف الأسرى:

المجتمع المسلم له حقوق وواجبات يجب على كل مكلف عاقل بالغ راشد مراعاتها والقيام بها قدر استطاعته، والحفاظ عليها للحديث الصحيح حديث عبد الله بن عمر ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺيقول: " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، الرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته " رواه البخارى فى صحيحه من هذا الحديث نجد أن الرجل والمرأة مسئولان عن رعيتهم وأول هؤلاء الرعايا هم أفراد الأسرة.

والخالق ﷻ ينهى عن العنف ويربط بين الإيمان والأمن ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢)، والقرآن الكريم يحث على استخدام الرفق واللين والبعد عن العنف، يقول تعالى مخاطبًا رسوله الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، ويقول ﷻ ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ

هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(النحل:١٢٥)، ويقول: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون:٩٦)، ويقول:﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت:٣٤) ومن هنا نرى أمر الله ﷻ بضرورة اتباع الرفق واللين، وأن هذا الأسلوب لا يقوى ويوطد مشاعر المحبة والإخاء بين الناس فقط، بل أنه يحول مشاعر العداء والبغضاء بين الناس إلى المحبة والرحمة.

وكما حثنا الله فى كتابه العزيز على الرفق واللين مع كل أفراد المجتمع، أكد الله ﷻ على المودة والرحمة داخل الأسرة، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١)، ويقول عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم:٦). ويقول ﷻ مؤكدًا على ضرورة حسن معاشرة الزوجة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:١٩).

والإسلام لا يمكن أن يقر العنف؛ فحينما شرع الإسلام القوانين والأحكام انطلق من أن المؤمنين سيطبقونها مستحضرين ضمائرهم وخوفهم من الخالق عز وجل، وأن كل مجتمع سيقيم المؤسسات التى تمنع التجاوز وسوء استخدام الحق وتعاقب المتجاوز، وأشار القرآن الكريم إلى ضرورة التأنى وعدم اللجوء إلى العنف من البداية بل جعله آخر الحلول حتى وإن صدر من الزوجة أى نشوز، يقول ﷻ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ (النساء:٣٤)، كما أن الله ﷻ يؤكد على ضرورة حل المشكلات الزواجية بطريقة عقلانية بعيدة عن العنف

فيقول فى كتابه العزيز: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء:٣٥).

ولم يكتف الإسلام بدفع العنف الجسدى عن المرأة، بل امتد إلى دفع العنف المعنوى عنها، فنجده يحمى سمعتها من الأباطيل ومن مجرد كلمات تتهم المرأة بغير حق وأوجد عقوبة خاصة بجرم القذف والمس بكرامة وشرف المرأة؛ يقول ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور:٤)، ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور:٢٣).

أما إذا اشتد الخلاف فى الحياة الأسرية والزوجية، فإن الشرع وضع آدابًا للطلاق تبتعد عن العنف بكافة صوره وتحفظ الفضل بين الزوجين بعد الانفصال، وتحفظ حقوق الزوجة وكرامتها مما يترتب عليه حفظ صورة الوالدين بشكل طيب أمام الأبناء ويقلل من الآثار السلبية للطلاق على الأولاد، يقول ﷻ: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:٢٣٧)، ويقول: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٣١)، ويقول: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق:٢).

والإسلام حرم مظاهر عديدة من العنف خاصة العنف الأسرى كانت سائدة فى الجاهلية منها وأد البنات؛ يقول ﷻ: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ﴾ (التكوير:٨)، وكراهية إنجاب الإناث، بل اعتبر مولدها بشرى وهذا تكريم من الله عز وجل للأنثى فيقول فى كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (النحل:٥٨)،

ويقول: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (الزخرف: ١٧). كما حث الشارع على حسن رعاية الفتيات، يقول رسول الله ﷺ " من كان له ثلاث بنات فآواهن ورعاهن وكفلهن، كن له حجابًا من النار. قالوا واثنتان يا رسول الله؟ قال: واثنتان ".رواه البخارى

والمتأمل لسيرة رسولنا الكريم ﷺ يجد أنها قائمة على الرفق والبعد تمامًا عن العنف؛ فلقد دعا عليه الصلاة والسلام إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، بل أن بعض الصحابة عندما اشتد أذى الكفار على الرسول ﷺ طلبوا منه أن يدعوا عليهم فرفض عليه الصلاة والسلام حتى لا يوقع الأذى بأهله.

ولقد أشار الرسول ﷺ إلى ضرورة استخدام الرفق واللين، عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله " رواه البخارى، ويقول ﷺ:خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى ". كما أوصى عليه الصلاة والسلام فى خطبة الوداع إلى نبذ كل أشكال العنف، حيث حرم دم المسلم على المسلم، وأوصى بحسن معاملة النساء بقوله " ألا واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوان عندكم (أى أسيرات) استحللتم فروجهن بكلمة الله وسنة رسوله، لا تضربوا الوجه ولا تقبحوه " رواه البخارى.

ولم يكتف الرسول ﷺ بالقول، وإنما سن سنة فعلية، كان فيها نموذج الزوج المثالى ورب الأسرة المقدر لزوجته وأسرته حق قدرهم، والراعى لبيته وأسرته، والأجدر بنا أن نقتدى برسولنا الكريم لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).